

خصوم يجتمعون وحلفاء يتفرقون في نسيج معقد

شبكة غاز العالم

صراع السيطرة بين قلب الأرض وإطار العالم



● نورد ستريم 2 من بين الملفات القليلة التي يلتقي فيها الرئيس الديمقراطي جو بايدن مع سلفه الجمهوري دونالد ترامب. وقد وصف بايدن هذا المشروع بأنه "أسوأ صفقة أوروبية"، وأضاف إنه "يقوي روسيا ويضعف نفوذ دول مثل أوكرانيا".



● نظرية "ريماند" ترسم خارطة تشمل كل أوروبا، باستثناء روسيا والجزيرة العربية والشرق الأوسط وآسيا، وتحديد الصين وشرق سيبيريا، وقد وصف صاحبها سببها هذه المنطقة بأنها منطقة التقاء وتصادم.

أوروبا من دون أن تضطر إلى المرور عبر تركيا. وقد تردد في هذا السياق حديث عن مشروع مدعوم من واشنطن لإنشاء أنبوب لتصدير الغاز القطري إلى أوروبا عبر مدينة حمص. وكانت مصر واليونان ردتا على الاتفاق التركي الليبي بتوقيع اتفاق تاريخي لترسيم الحدود البحرية في القاهرة، يكمل اتفاقا سبق وأن تم توقيعهما بين مصر وقبرص لتعيين الحدود البحرية بما يحاصر تركيا ويقطع من الفرص التي كانت تتطلع إليها بشأن مد نفوذها البحري.

في قلب هذه اللعبة تحرك إسرائيل أحجارها في كل الاتجاهات على رقعة طريق الطاقة الجديدة. وقد منحها عضويتها في منتدى شرق المتوسط مساحة هامة. وبدءا من العام 2025، تعتزم إسرائيل نقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا، عبر خط الأنابيب "إيبست ميد". ومن المقرر أن يمتد خط الأنابيب من إسرائيل إلى قبرص ومن هناك إلى جزيرة كريت ومن ثم إلى بيزونيا الرئيسية، وبعدها سيتم نقله إلى إيطاليا عبر خط الأنابيب آخر.

تحالفات جديدة

اتخذ منتدى شرق المتوسط، الذي تأسس في 2019 وضم في بدايته مصر، اليونان، إسرائيل، الأردن، فلسطين، قبرص، وإيطاليا، وزنا دوليا هاما بعد منح الولايات المتحدة عضوية مراقب دائم، كما اقترحت فرنسا الانضمام كعضو، ومؤخرا انضمت دولة الإمارات التي تملك احتياطات ضخمة من الغاز الطبيعي، كعضو مراقب في هذا المنتدى الذي يتحول شيئا فشيئا إلى منظمة دولية للدول المنتجة والمستوردة للغاز ودول العبور بشرق المتوسط.

ويبدو جسد بين دول الاتحاد الأوروبي منذ العام الماضي بشأن فرض عقوبات على تركيا بسبب أنشطتها في شرق المتوسط. وينظر أن يصدر القرار النهائي خلال القمة الأوروبية في مارس المقبل.

ودخلت الولايات المتحدة أيضا المعركة، فهي تسعى إلى مواجهة تحركات تركيا التوسعية في المنطقة، ودعم شركات الطاقة الأميركية العاملة في مياه المتوسط، وتطوير مصادر تصدير غاز جديدة إلى أوروبا لإضعاف قبضة روسيا. واتخذت واشنطن إجراءات تصعيدية، فقد وافق الكونغرس الأميركي في ديسمبر 2019 على رفع حظر الأسلحة المفروض على قبرص منذ عام 1987، وتم إقرار تحويل المساعدات العسكرية إلى قبرص.

وعلى الرغم من ساحلها على البحر المتوسط، فإن المخارج البحرية لتركيا محاصرة بالعديد من الجزر اليونانية المتاخمة، وحدودها البحرية مقيّدة بجزيرة قبرص. وهنا جاء الحل مع اتفاق ترسيم الحدود البحرية الذي وقعته مع حكومة الوفاق الليبية.

وفي مطلع الألفية أعلنت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية عن اكتشافات ضخمة من الغاز. فحضر جنون الغاز هذه المنطقة وتسارعت وتيرة "حرب التنقيب" فيها لترفع معها حدة التوترات السياسية والتهديدات الاستراتيجية.

وتكونت تحالفات جديدة وولدت كتلتا لا يستهان بها. وأعيد فتح ملفات قديمة وطفحت صراعات كامنة على السطح، وسطرت خرائط وفتحت ممرات جديدة.

وفي السنوات الأولى كانت الحرب خاملة. وعملت أغلب الشركات والدول المعنية، منها إسرائيل ومصر، بجهود على تطوير حقولها وعقد الصفقات المشددة والاستثمارات في قطاع الغاز. لكن في السنوات الأخيرة بدأت المياه تضطرب وبدأت ملامح "العسكرة" تظهر في المنطقة.

وانطلقت الصافرة حين أرسلت تركيا سفينة التنقيب عن الغاز برفقة سفنها العسكرية إلى المياه قبالة ساحل كاستيلوريزو اليوناني.

تركيا، التي لا تمتنع بعلاقات جيدة مع قبرص واليونان، وتأثرت علاقاتها سلبا باغلب الدول المتوسطية الأوروبية والعربية، تخشى من أي تغيير في الخارطة السياسية للعالم يمكن أن يؤثر على أفق الغاز المربح وتبحث عن فرصة "لتنقذ" من جغرافيتها.

وتدخلت الولايات المتحدة أيضا المعركة، فهي تسعى إلى مواجهة تحركات تركيا التوسعية في المنطقة، ودعم شركات الطاقة الأميركية العاملة في مياه المتوسط، وتطوير مصادر تصدير غاز جديدة إلى أوروبا لإضعاف قبضة روسيا. واتخذت واشنطن إجراءات تصعيدية، فقد وافق الكونغرس الأميركي في ديسمبر 2019 على رفع حظر الأسلحة المفروض على قبرص منذ عام 1987، وتم إقرار تحويل المساعدات العسكرية إلى قبرص.

أما سوريا التي لا تنتج الغاز بكميات مؤثرة، فهي منطقة استراتيجية، ويوفر موقعها الجغرافي ممرًا للدول التي تبحث عن منفذ يربطها بالبحر المتوسط، مثل إيران والدول التي تريد الوصول إلى

وفي المقابل، ترسم الـ"ريماند" خارطة تشمل كل أوروبا باستثناء روسيا والجزيرة العربية والشرق الأوسط وآسيا، وتحديد الصين وشرق سيبيريا.

وقد وصف سببها هذه المنطقة بأنها منطقة التقاء وتصادم.

وفي مطلع الألفية أعلنت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية عن اكتشافات ضخمة من الغاز. فحضر جنون الغاز هذه المنطقة وتسارعت وتيرة "حرب التنقيب" فيها لترفع معها حدة التوترات السياسية والتهديدات الاستراتيجية.

وتكونت تحالفات جديدة وولدت كتلتا لا يستهان بها. وأعيد فتح ملفات قديمة وطفحت صراعات كامنة على السطح، وسطرت خرائط وفتحت ممرات جديدة.

وفي السنوات الأولى كانت الحرب خاملة. وعملت أغلب الشركات والدول المعنية، منها إسرائيل ومصر، بجهود على تطوير حقولها وعقد الصفقات المشددة والاستثمارات في قطاع الغاز.

لكن في السنوات الأخيرة بدأت المياه تضطرب وبدأت ملامح "العسكرة" تظهر في المنطقة.

وانطلقت الصافرة حين أرسلت تركيا سفينة التنقيب عن الغاز برفقة سفنها العسكرية إلى المياه قبالة ساحل كاستيلوريزو اليوناني.

تركيا، التي لا تمتنع بعلاقات جيدة مع قبرص واليونان، وتأثرت علاقاتها سلبا باغلب الدول المتوسطية الأوروبية والعربية، تخشى من أي تغيير في الخارطة السياسية للعالم يمكن أن يؤثر على أفق الغاز المربح وتبحث عن فرصة "لتنقذ" من جغرافيتها.

تركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان أيضا على رفع حصتها من الغاز الذي يتبعه للصين.

قلق السيل التركي

أيضا، من أبرز مشاريع خطوط أنابيب الغاز الروسية الكبرى الأخرى ترك ستريم أو "السييل التركي"، وهو خط أنابيب لتصدير الغاز من روسيا عبر أنابيب ناقلة تمر من البحر الأسود إلى تركيا وجنوب شرق أوروبا.

وتواجه تركيا معضلة انتهاء العقود طويلة الأجل مع أبرز موردي الغاز الحاليين: أنزيبجان عبر خط باكو - تبليسي - أرضروم، وروسيا عبر خطوط التيار الأزرق وخط عبر البلقان، وإيران عبر طريق تبريز - دوغوبيازييت.

لكن ذلك لا يلغي الرغبة التركية في التحرر من القبضة الروسية، خاصة وأن أنقرة جربت التكلفة الاقتصادية للغضب الروسي.

لم تعد تركيا تكفي بأن تكون منطقة عبور للغاز، والأكثر من ذلك هي تسعى إلى استغلال الظروف الاستراتيجية التي دفعها إلى التخلي عن سياسة صفر مشاكل مع الخارج إلى اتباع سياسة اندفاعية مكلفة لكن ضمنت بعضا من المصالح خصوصا في البلدان التي صعد فيها الإسلاميون إلى الحكم، والاتفاق الموقع مع حكومة الوفاق في ليبيا في 2019 أبرز مثال.

لهيب شرق المتوسط

تبدو منطقة شرق البحر المتوسط اليوم قلب العالم المتفجر. وفيها يمكن أن يلتقي نظريتا هالفورد ماكنذر عن الـ"هارت لاند" أو "قلب العالم" بالعربية، ومنقده نيكولاس سببها ونظريته المضادة "ريماند" أو "إطار الأرض". واعتبر ماكنذر القارات قارة واحدة وسماها "جزيرة العالم"، ورأى أن

فلاديمير بوتين فإن أوروبا ستشعر بالبرد على الفور.

بعد جدل طويل، اتفق وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، الأسبوع الماضي، على فرض عقوبات على مسؤولين روس على خلفية قمع المعارض الروسي أليكسي نافالني وأنصاره. وصف هذا القرار بأنه "عقوبات الحد الأدنى" نظرا إلى تباين وجهات النظر الأوروبية حول "معاينة" روسيا.

وكانت فرنسا دعت إلى التخلي عن مشروع خط أنبوب غاز نورد ستريم 2، لكن ألمانيا ردت رافضة بشكل قاطع أي خطوة تضر بهذا المشروع المصري بالنسبة إليها. مثلما عارضت في ديسمبر 2018 تصويت الأغلبية في البرلمان الأوروبي على دعوة إلى إلغاء مشروع نورد ستريم 2 باعتباره "مشروعا سياسيا يمثل تهديدا لأمن الطاقة الأوروبية".

وبينما يبقى القرار الأوروبي بشأن نورد ستريم 2 محل أخذ ورد، تحركت واشنطن في ديسمبر 2019 بفرض عقوبات على أي شركة تساعد شركة غازبروم في مد خط الأنابيب أو تأمين السفن أو التحقق من المعدات. دفعت العقوبات الروس إلى توقيف العمل لحوالي سنة، ليستأنف الدفاع الوطني والذي يتضمن تشديد العقوبات على مشاريع الغاز الروسية.

ويبدو أن نورد ستريم 2 من بين الملفات القليلة التي يلتقي فيها الرئيس الديمقراطي جو بايدن مع سلفه الجمهوري دونالد ترامب.

وقد وصف بايدن نورد ستريم 2 بأنه "أسوأ صفقة أوروبية"، وقال إنه "يقوي روسيا ويضعف نفوذ دول مثل أوكرانيا".

من المؤكد أن أوروبا تريد فطام نفسها عن الغاز الروسي لكن حاجتها إلى الغاز تتصاعد، وهي لا ترى في الوقت الراهن بديلا يضمن لها ذلك، بينما تمسك روسيا جيدا بورقتها الراحلة.

أوروبا، القلقة والغاضبة من الكرملين، مضطرة إلى التعاون مع روسيا خاصة مع توقف حقول الغاز في بحر الشمال، وانقطاع صادرات ليبيا، وتراجع كمية الغاز القادم من الجزائر، وغياب بدائل أميركية ناجحة من حيث التكلفة والبنية التحتية التي يمكن أن تنافس أو تعوض، جغرافيا وماديا، البنية التحتية الروسية.

عند الحديث عن الغاز كجوكو هام في لعبة السياسة والعلاقات الاستراتيجية يبرز كمثال رئيسي الغاز الروسي الذي يضع السياسات الأوروبية على طرفي نقيض، لجهة اندلاع الخلافات الدائمة مع موسكو، ووجهة الاعتماد الأوروبي الكبير عليه. لذلك يقال إنه إذا غضب الرئيس

الناظر إلى خارطة العالم اليوم ستلفت انتباهه شبكات أنابيب تمتد لتشبه العروق في الجسم. بعضها يتركز بكثافة في منطقة مددة، وبعضها الآخر يترامي بحرية أكبر هنا وهناك، فوق سطح الأرض وفي أعماق البحار. في مناطق تظهر أنابيب متكاملة تضح حركة، وفي أخرى تبدو عمليات البناء ما زالت مستمرة. هذه الشبكة هي خارطة طريق الغاز.

شيوخوخة الأبار النفطية وتراجع مخزون النفط العالمي وتذبذب أسعار النفط والخلافات داخل أوبك والتوجه أكثر نحو الطاقة النظيفة، ومستجدات أخرى صاعدة، كلها أسباب تجعل الحظ

لعبة الحرب والسلام

النفط سبب في الحروب والصراعات مثلما هو سبب في تطور الصناعة والحضارة البشرية. الغاز الآن يسير في طريق مشابه، لكن لم يصل بعد إلى مرحلة السيطرة، ومن الصعب أن يكتسح السوق كطاقة لا منافس لها مثلما هو الحال مع النفط.

لم يتوقف سيل العقوبات الأميركية، ومع الإصرار الروسي على استكمال مشروع السيل الشمالي، بدأ مجلس الشيوخ الأميركي عام 2021 بتوجيه ضربة أخرى من خلال تمرير قانون تفويض الدفاع الوطني والذي يتضمن تشديد العقوبات على مشاريع الغاز الروسية.

ويبدو أن نورد ستريم 2 من بين الملفات القليلة التي يلتقي فيها الرئيس الديمقراطي جو بايدن مع سلفه الجمهوري دونالد ترامب. وقد وصف بايدن نورد ستريم 2 بأنه "أسوأ صفقة أوروبية"، وقال إنه "يقوي روسيا ويضعف نفوذ دول مثل أوكرانيا".

من المؤكد أن أوروبا تريد فطام نفسها عن الغاز الروسي لكن حاجتها إلى الغاز تتصاعد، وهي لا ترى في الوقت الراهن بديلا يضمن لها ذلك، بينما تمسك روسيا جيدا بورقتها الراحلة.

أوروبا، القلقة والغاضبة من الكرملين، مضطرة إلى التعاون مع روسيا خاصة مع توقف حقول الغاز في بحر الشمال، وانقطاع صادرات ليبيا، وتراجع كمية الغاز القادم من الجزائر، وغياب بدائل أميركية ناجحة من حيث التكلفة والبنية التحتية التي يمكن أن تنافس أو تعوض، جغرافيا وماديا، البنية التحتية الروسية.

عند الحديث عن الغاز كجوكو هام في لعبة السياسة والعلاقات الاستراتيجية يبرز كمثال رئيسي الغاز الروسي الذي يضع السياسات الأوروبية على طرفي نقيض، لجهة اندلاع الخلافات الدائمة مع موسكو، ووجهة الاعتماد الأوروبي الكبير عليه. لذلك يقال إنه إذا غضب الرئيس

حذاهم خريف

كاتبة تنسية

